الخليج العربي المجلد الثاني والعشرون العدد (٢) ١٩٩٠.
مجلة علمية يصدرها مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة - الجمهورية العراقية

مقبل بن عبدالعزيز الذكير وكتابه المخطوط في تاريخ الجزيرة العربية

الدكتور محسن غياض عجيل
كلية الاداب - جامعة بغداد

المؤلف:

هو مقبل بن عبدالعزيز بن محمد الذّكير[١].

من اسرة كريمة معروفة في المملكة العربية السعودية والعراق والكويت والبحرين، اشتهرت بالتجارة وعرفت بها، قال استاذنا الجاسر (من اسرة من اشهر اسر عنيزة تنمى الى بني خالد)[٢].

وقال مؤلفا كتاب إمارة الزبير في تعريفهما بآل الذكير انهم (ينتمون الى بني ساعدة احد افخاذ عشيرة عتيبة المعروفة)[٣].

---

(١) امارة الزبير ١ / ٢١٤.

(٢) مؤرخو نجد (القسم الثاني) مجلة العرب ١٠/ ٨٩٥ (السنة الخامسة) ١٩٧١.

(٣) امارة الزبير ١ / ٢١٣.

ونحن نشارك العلامة الجاسر رأيه في قلة المعلومات عن الرجل، وهو اول من عرّف به في محاضرته القيمة عن مؤرخي نجد[٤] ونقل عنه واعتمد عليه المرحوم الزركلي في الاعلام[٥] وعلى الزركلي اعتمد استاذنا الجليل الدكتور علي جواد الطاهر في ترجمته له في معجم المطبوعات العربية في المملكة العربية السعودية[٦] على انه ليس للرجل كتاب مطبوع، وقد ظن الدكتور الطاهر ان له مساهمة في طبع ونشر بعض الكتب السلفية، معتمداً على ماذكره الدكتور أحمد محمد الضبيب، وهو وهم منه سببه تشابه الاسم واللقب بين الرجل وبين خاله مقبل عبدالرحمن الذكير وهو الذي أشار اليه الدكتور الضبيب في بحثه المنشور في مجلة الدارة[٧] وهناك اشارات قليلة الى سيرته وردت مبعثرة في كتابه المخطوط الذي نحن بصدد التعريف به.

ولادته:

وقد رجح الاستاذ الجاسر انه ولد سنة ١٢٩٩هـ[٨] . بدلالة ماذكره، في كتابه (وصلت الكويت مع خالي مقبل العبد الرحمن الذكير من عنيزة في ٢٥ ربيع الثاني من هذه السنة (١٣١٣هـ) وعمري إذ ذاك الرابعة عشرة، فأبقاني خالي في بيت الشيخ يوسف بن ابراهيم لتعلم الكتابة[٩].

---

(٤) مؤرخو نجد، مجلة العرب ١٠ / ٨٩٥.

(٥) الاعلام ٧ / ٢٨١ ـ بيروت ١٩٧٩.

(٦) معجم المطبوعات ٢ / ٤٣٨، بغداد ١٩٨٥.

(٧) مجلة الدارة العدد ١، ص ٥٠ ـ ٥١ السنة الاولى ١٩٧٥.

(٨) مؤرخو نجد، العرب ١٠ / ٨٩٥ والزركلي ٧ / ٢٨١.

(٩) العقود الدرية ٩٨.

أعماله:

ويبدو انه اشتغل بالتجارة مع خاله ثم فتح له محلاً في البحرين للتصدير والاستيراد[١٠]، وتدل ورقة مرفقة بأحد اجزاء الكتاب على هذا، اذ تحمل في اعلاها اسم المحل وعنوانه مطبوعاً بالعربية والانكليزية ومدون فيها حساب بعض وارداته.

وذكر استاذنا الجاسر أن الملك عبدالعزيز رحمه الله عينه مديراً لمالية الاحساء سنة ١٣٤٣ فنظم شؤونها واختار عدداً من شباب الكويت لمساعدته، وانه بقي في منصبه ذاك الى سنة ١٣٥٠(١٩٣١)[١١] وفي كتابه ما يؤيد هذا، فقد ذكر عند حديثه عن الزلفى عمل اهلها بالتجارة ونقل البضائع بين الكويت ونجد ونقل المؤن واللوازم العائدة لجلالة الملك من الاحساء الى الرياض (وقد بلغ مجموعهم عندما كنت في مالية الاحساء اكثر من مائة خبرة، مجموع ابلهم لا يقل عن الفين وخمسمائة بعير)[١٢].

سفرته ووفاته:

وتحمل ورقة مرفقة بالكتاب تواريخ سفرة قام بها من عنيزة الى الكويت والحمرة والبصرة سنة ١٣٣١ ومع اننا لا نعرف تاريخ وفاته تحديداً الا اننا نشارك العلامة الجاسر رأيه في ترجيح انه عاش الى ما بعد سنة ١٣٦٠[١٣]. ففي اوراق مرفقة بالكتاب ما يدل على ذلك ويؤيده، إذ أنها تحمل نصوص برقيات وبيانات رسمية مؤرخة سنة ١٣٥٨ وسنة ١٣٥٩.

ومع اننا لا نعرف شيئاً عن دراسته واساتذته، غير اشارته الى

---

(١٠) مؤرخو نجد، العرب ١٠ / ٨٩٥ والزركلي ٧ / ٢٨١.

(١١) المصدر السابق ١٠ / ٨٩٦ والزركلي ٧ / ٢٨٢.

(١٢) العقد الممتاز ١٥٨.

(١٣) مؤرخو نجد، العرب ١٠ / ٨٩٦.

ذهابه للكويت في صباه لتعلم الكتابة وعودته السريعة الى البحرين بعد حادثة قتل الشيخ مبارك لاخويه، الا ان كتابه يدل على عنايته بالتاريخ وشغفه بمصادره وكتبه، وهو يبدو فيما كتب رجلاً عدلاً محباً للحقيقة والانصاف، حر الرأي والتفكير، ومع انه كان موظفاً في الحكومة السعودية، ومع شدة ولائه للملك عبدالعزيز واعجابه به وثنائه عليه[١٤]، الا انه لم يبخس خصومه حقهم من الثناء والتقدير، ومع انه رجل سلفي النزعة، ومع ما اسبغه من الثناء والاعجاب على الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحركته الاصلاحية، الا انه خالف ابن بشر في تفسير مقاومة بعض الامراء لدعوة الشيخ، ورأى ان ذلك كان دفاعاً عن نفوذهم وهو موجه ضد سيطرة ابن سعود السياسية وليس عداءً للدين ولآراء الشيخ في الاصلاح الديني.

وسنذكر طائفة من نصوص كتابه تدل على ذلك وتوضحه.

(١) قال في العقود الدرية (حوادث سنة ١٢٦٧)

(وحرصت كل الحرص على تمحيص الحقائق كما هي لا كما اشتهى ان تكون، ولم ارسم الا ما ثبت عندي صحته متجنباً الميل جهد الطاقة، ولم أبخس العدو حقه من الحقيقة ولا اعطيت الصديق منها اكثر مما يستحق لانني اكتب للحقيقة، وللحقيقة وحدها).

(٢) قال في الثناء على الامير محمد العبدالله الرشيد
(العقود الدرية ص ١١٠)

(وكان بعيد النظر، سديد الرأي حكيماً، عادلاً مبرزاً في سياسته،

---

(١٤) يبدو هذا عند حديثه عن علاقات الملك باليمن والادارسة وامارة شرقي الاردن، فقد وصفه بالحلم والاناة والسعي الى الخير وحب الاصلاح واحترام العهود والعفو عن الخصوم، واتهم الاخرين بالبغي والعدوان والتآمر ونقض العهود والمواثيق.

محمود السيرة، شديد الوطأة على البادية، عطوفاً على رعاياه من الحضر، محافظاً على حقوقهم، عفيفاً عن اموال رعيته).

(٣) وقال في الثناء على الشيخ ودعوته ونهضته الاصلاحية
(العقود الدرية ١١)

(هذه النهضة التي تبدلت فيها حالة نجد من الفوضى الى النظام ومن التفرق الى الاجتماع ومن الخوف الى الأمن ومن كل حالة سيئة الى حالة حسنة، وذلك ببركة دعوة منقذ نجد من الجهالة الشيخ الجليل والمصلح الكبير الشيخ محمد بن عبدالوهاب قدس الله سره، فلو لم يكن له من الفضائل الا اجتماع الكلمة وتوحيد الامة لكفاه ذلك فضيلة، فكيف وقد جمع الله به شتاتهم وأنقذهم مما هم فيه من الجهالة، والف بينهم وكف ايديهم عن الاعتداء على بعضهم بعضاً واشرب قلوبهم حب الايمان ونفى عنهم درن البدع الدينية التي قد عمت البلاد، وازال الشحناء والبغضاء المتأصلة في قلوبهم وجاهد في ذلك، علماً وعملاً حتى جعلهم على المحجة البيضاء، فجزاه الله افضل ما جازى به عاملاً عن عمله).

(٤) وقال في تفسير مقاومة بعض الامراء لآل سعود
(العقد الممتاز ٢١٩)

(والحقيقة التاريخية التي يجب تسطيرها ان جميع مقاومات هؤلاء الأمراء هي موجهة ضد مطامع ابن سعود ولم توجه ضد دعوة الشيخ قط، اذ لا شأن للأمراء بذلك، ولو تركوا وشأنهم في مراكزهم على ما كانوا عليه لما رفع احد منهم رأسه للحرب، ولكن كما قلنا ان الشيخ قرن قبول دعوته بطاعة ابن سعود فأبوا عليه ذلك من هذه الوجهة خاصة).

(٥) وقال في تفسير مقاومة ابراهيم العنقري لابن سعود
(العقد الممتاز ٢١٨)

(ولا يظن القارىء ان اسباب هذه العداوة مقاومته لدعوة الشيخ وعدم قبوله اياها لكونه يعتقد بطلانها كما يقول ابن غنام وابن بشر، وانما هي عداوة سياسية خوفاً على مركزه ونفوذه.. ولو ان دعوة الشيخ لم تمتزج بالسياسة لما لقيت مثل هذه المقاومة العنيفة.. ولسرت في نجد سريان الكهرباء ونجحت نجاحاً اكثر مما يؤمل).

امانته العلمية:

ومما يحمد للشيخ مقبل الذكير امانته العلمية وحرصه على الاشارة الى مصادره المكتوبة والشفوية، فقد صدّر الجزء الاول من كتابه (طوق الحمامة) بفهرست لمصادره من الكتب والمجلات والصحف[١٥] ثم حرص على الاشارة الى هذه المصادر في ثنايا الكتاب، وهذه نصوص تدل على ذلك وتؤيده:

(١) قال عند حديثه عن تاريخ ثرمداء
(العقد الممتاز ٢١٧)

(وأكبر من تصدى لهذا الموضوع في الزمن الأخير جرجي زيدان صاحب مجلة الهلال، ومن بعده أمين الريحاني وفؤاد حمزة.. ومن بعده الشيخ حافظ وهبه المصري..).

---

(١٥) أنظر بداية تعريفنا بطوق الحمامة.

(٢) وقال في حديثه السابق ايضاً
(العقد الممتاز ٢١٨)

(فأما كلامنا على القسم الجنوبي من نجد.. فقد استقيناه من سوابق وتاريخ ابن بشر، وأما القصيم وما يليه فقد اخذناه عن بعض مؤرخي اهل القصيم، وهي اشبه ما تكون بسوابق ابن بشر، الا اننا اتممنا ذلك من معلوماتنا الخاصة، ورجعنا الى تاريخ ابن بشر في بعض الحوادث).

(٣) وقال في حوادث سنة ١٢٦٧
(العقود الدرية)

(يعلم المطالع أننا لخصنا اكثر الحوادث مستمدين ذلك من تاريخ ابن بشر).

(٤) وقال في تاريخ الروضة
(العقد الممتاز ٢١٧)

(هذا ما تيسر لنا جمعه من تاريخ الروضة الخاص انتزعناه من مصادر شتى اهمها تاريخ ابن بشر، وليس لنا في ذلك الا جمع ما تفرق منه في ثنايا الكتب).

(٥) وقال في حوادث سنة ١٢٦٧
(العقود الدرية)

(وبما ان تاريخ ابن بشر انتهى بحوادث هذه السنة، فقد اعتمدنا على وريقات منسوبة لابراهيم بن عيسى ذكر فيها اربع او خمس حوادث من حوادث القصيم فقط، وعلى تاريخ الفه ابراهيم المحمد القاضي استخلصنا منه جزءاً قليلاً من حوادث البادية التي لم نقف عليها وهي قليلة جداً، إنما يلزمنا التنويه بذلك).

ما تفرد به:

وهو وقد نوه بفضل من سبقه واشار الى نقله عنهم واعتماده عليهم، لم ينس نصيبه من الفضل ولم يبخس نفسه وعمله حقه من الاشارة والتنويه، فقد حرص على التنبيه الى ما تفرد به كتابه وما توصل اليه بعلمه وجهده الشخصي، والنصوص التالية تؤكد هذا وتؤيده:

(١) قال في حوادث سنة ١٢٦٧
(العقود الدرية)

(كما ان فيها تعليقات وملاحظات من تأليفنا ليست من تاريخ ابن بشر ولا غيره، وهي: وصف النهضة الاصلاحية ونشأة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وعلاقاته قبل اتصاله بمحمد بن سعود، وتراجم الامراء الاربعة الذين قاوموا محمد بن سعود وحالوا دون توسيع نفوذه، وتعليقاتنا على حوادث قتل المطاوعة وعلى جلب الحكومة المصرية وجلب الشريف على نجد وما شاكل ذلك).

(٢) وقال في الحوادث نفسها
(العقود الدرية)

(وما عدا ذلك من حوادث نجد، فهو من روايتنا ومحفوظاتنا اذ انني عاصرت الحوادث من العقد الثاني من القرن الرابع عشر وحرصت على حفظها وتدوينها من مصادر الحوادث نفسها، وتتبعت ما شذغني فأخذته ممن شاهده أو حضره من الثقات).

آراؤه في التاريخ والمؤرخين

وهو يعي تماماً الهدف من التاريخ ومبررات الكتابة التاريخية وما ينبغي للمؤلف من عدالة وبعد عن الهوى وما يجب عليه من

التمحيص والتدقيق وحق الاجيال القادمة في معرفة الحوادث السابقة دون تزييف او تحريف، وضرورة تسجيل المؤرخ لاحداث عصره قبل ان تطمس حقيقتها الايام وتضيع معالم الحدث وآثاره، وهو يرى ان المؤرخ الحق من درس الحدث مرتبطاً بأسبابه ونتائجه، وان الاكتفاء بذكر الحدث مجرداً عن هذا لا فائدة فيه للقارىء، وقد اتهم بعض المؤرخين صراحة بالجهل وقلة العلم وعدم الانصاف، ونبه الى اغلاطهم في جملة امور، بعد ان ذكر نصوص اقوالهم فيها، بل انه اشار الى فصل خاص عقده لاغلاط المؤرخين، والمؤسف اننا لم نجد هذا الفصل في الكتاب، وهذه مجموعة نصوص تؤيد ما ذكرناه من آرائه في التاريخ وكتابته ومبرراته وأغلاط المؤرخين واتهاماته لهم لاسيما في بعض حوادث القصيم التي يبدو مدافعاً عنها متعصباً لأهلها:

(١) قال في حوادث سنة ١٢٠٧ عن اجتماع حسن المهنا وزامل في الوادي
(العقود الدرية ٩٥)

(وللريحاني في ذلك رواية غريبة فندناها في فصل عقدناه لهذا الغرض تحت عنوان اغلاط المؤرخين).

(٢) وقال مبرراً التعريف بالرياض
(العقد الممتاز ٢٢٢)

(ولسنا نريد ان نعرفها للقراء، فهي اشهر من ان تحتاج الى ذلك، ولكن للاجيال المقبلة من ابنائنا واحفادنا وللجيل الحاضر حقاً في كشف الحقائق عن الحوادث القديمة التي لاتزال بحكم المجهولة، لانها مبعثرة في ثنايا الاوراق وصدور الرجال مما لا يلبث ان تندرس آثاره اذا لم يستدرك ويجمع في مؤلف، وللقيام بهذين الواجبين بذلت جهدي في جمع شتى الحوادث القديمة...)

(٣) وقال تحت عنوان (ملخص الحوادث بزمن عبدالعزيز بن محمد بن سعود من سنة ١١٧٩ ـ الى سنة ١٢١٨)
(العقود الدرية ٣٠)

(لم نجعل هذا العنوان لسرد الحوادث والفتوحات التي تمت بزمن عبدالعزيز فإن ذلك مبسوط في تاريخي ابن غنام وابن بشر، وإنما نريد الاشارة الى بعض الحوادث التي تحتاج الى شرح او الحوادث التي لم يتعرض لها المؤرخان المذكوران لأنهما لم يعنيا إلا بما كان له مساس في آل سعود وأعمالهم، فقد يذكران خبراً فيدرجانه ضمن الحوادث العادية بدون أن يعتنيا بمقدماته ونتائجه خصوصاً ما يتعلق بالقصيم كما يأتي مثال ذلك).

(٤) في حادثة قتل اهل القصيم للمطاوعة الذين عندهم سنة ١١٩٦
(العقود الدرية ٣٣)

(هذه الحادثة من الحوادث الغامضة لم يجلُ ابن غنام ولا ابن بشر سرها، بل اتخذوها وسيلة للتشنيع بها على أهل القصيم).

(٥) في علاقة أهل القصيم بالشريف محمد بن عون
(العقود الدرية ٧٤)

(اما ابن بشر فقد عزا خروج الشريف محمد بن عون الى نجد، الى رجال من أهل القصيم حملوه على الخروج، كعادته في مثل هذه الامور، فهو لعدم اطلاعه على مجاري السياسة وضيق تفكيره وقصور نظره اذا اعياه فهم اسباب الحوادث نسبها الى أهل القصيم لأنهم بنظره اقدر الناس على الاتصال بالأمراء والملوك هذا من جهة، ومن الجهة الاخرى اتهامه اياهم بعدم الاخلاص للولاية وإنهم دائماً يسعون ضدهم).

(٦) وقال معلقاً على الموضوع السابق نفسه
(العقود الدرية ٧٤)

(وإن زماننا لم يتأخر عن زمن ابن بشر اكثر من خمسين سنة، فقد اتضح لنا في هذه المدة الوجيزة كثير مما جهله ابن بشر او تجاهله، كما اتضح لنا أن تاريخه على ما فيه من الفوائد الجزيلة لم يكن تاريخاً بالمعنى المفهوم، فاذا ذكر حادثة لم يذكر حقيقتها وإنما يوجهها على مقتضى ما يوافق السياسة وإن كانت مخالفة للحقيقة، وهذا مالا ينبغي للمؤرخ، وقد أبدينا بعض الملاحظات على بعض النقاط المهمة وتركنا البقية خوفاً من الاطالة).

(٧) وقال معلقاً على حوادث سنة ١٢٦٥ وانتقاض عبدالعزيز المحمد وأهل القصيم على الامام فيصل
(العقود الدرية)

(واذا رجعنا الى ابن بشر لاستخلاص الأسباب رأيناه يضرب على نغمته القديمة التي ألمعنا اليها اكثر من مرة، إذ لا يتسع تفكيره الى أبعد من ذلك، وإليك ما قاله... هذا هو المصدر الوحيد الذي نستنير منه ضوء الحوادث وهذا تعليله في أسباب انتقاض اهل القصيم، فهل نجاريه في هذا التعليل السخيف أو نسلم له الامر بالقاء التبعة عليهم دون تمحيص، فنحن نجزم ان هناك أسباباً خطيرة أوجبت هذه الحركة ولكننا مع الأسف الشديد لا نملك معرفة تلك الأسباب، إذن نرجع الى سياق الأخبار، مضطرين الى أخذها عن المصدر السابق).

(٨) وقال معلقاً على مقاومة ابراهيم العنقري لابن سعود
(العقد الممتاز ٢١٨)

(ومن أكبر اغلاط مؤرخينا المتقدمين نسبتهم كل مقاومة لابن سعود، هي مقاومة للدين، ومن أعجب الأمور مشايعة المؤرخين

المتأخرين لهذه الفكرة، وهي عندي من الأغلاط الفاحشة، فنجد ولله الحمد لم يفارق اهلها دين الاسلام منذ دخلوا فيه، وفي نجد علماء اجلاء يعترف لهم ابن بشر وغيره برسوخ اقدامهم في العلم قبل دعوة الشيخ محمد).

(٩) وقال في حادثة قتل الشيخ مبارك الصباح لاخويه
(العقود الدرية ٩٨)

(وقبل ان نفيض بأسباب الخلاف وتطوراته يجب ان نذكر مقدمات الامور لنصلها بنتائجها، ليكون المطلع على المام بالمسألة من أولها).
دفاعه عن اهل القصيم:

وقد ذكرنا عصبيته لاهل القصيم وحرصه على الدفاع عنهم ووقوفه طويلاً عند بعض حوادث القصيم ومناقشته آراء المؤرخين فيها، ومن امثلة دفاعه عن أهل القصيم:

(١) في مسألة علاقتهم بالشريف محمد بن عون
(العقود الدرية ٧٤)

(إن الامام فيصلاً عزل أولاد سليمان بن زامل من امارة عنيزة بحجة ان لهم يداً في مجيء الشريف الى نجد وانهم استقبلوه حينما نزل عنيزة، ولا نعلم ماذا يريد منهم ان يعملوا مادام انه لم يأمر احداً بمقاومة الشريف، ومادام ان الشريف قد كتب لاهل البلدان انه لم يأت محارباً، ولكن السياسة متى ارادت شيئاً خلقت له ما يبرره ولو ظاهراً على الاقل).

وقد كرر المؤلف الوقوف على هذا الموضوع وكرر دفاعه السابق في الجزء الثالث من الكتاب (العقد الممتاز ٢٣١)

(٢) في حادثة قتل أهل القصيم للمطاوعة الذين عندهم سنة ١١٩٦
(العقود الدرية ٣٣)

قال بعد أن اتهم ابن بشر وابن غنام بالتشنيع على اهل القصيم:

(فعلى هذا يكون الفاعل هو سعدون، لا اهل القصيم، الذين لا اظن انهم يفضلون ولاية ابن عريعر على ولاية ابن سعود، ولكن لم يكن لهم الخيار في ذلك، والحكام لا يحترمون طالب علم ولا غيره، متى ما رأوا منه اعمالاً تخل بسياستهم، اذن فما لهذا التهويل والتشنيع على اهل القصيم من معنى، ولم يرتدوا عن الاسلام، فعدم دخولهم تحت طاعة امير او اتباعه لا يخرجهم من دائرة الاسلام، على ان اهل القصيم لم يلبثوا بعد ذلك الا مدة قليلة حتى دخلوا تحت طاعة ابن سعود حينما تغلب على ابن عريعر).

ولعل في هذه النصوص الكثيرة التي قدمناها ما يكشف للقارىء بصورة واضحة علم المؤلف وجهوده ومصادره وآراءه وميوله وعدالته واستقلال رأيه وعصبيته لقومه، وما يؤيد ما ذكره عنه استاذنا العلامة الجاسر في محاضرته عنه التي جاءت - بحكم الوقت المخصص للمحاضرات عادة - شديدة الايجاز والتركيز قليلة النصوص، في اربع صفحات من مجلة العرب الزاهرة (من ص ٨٩٥ الى ص ٨٩٨) ولكنها كانت جامعة مانعة وكان الاستاذ العلامة، كعادته دائماً، رائداً في موضوعها.

الكتـاب

العلامة الجاسر:

كان استاذنا العلامة الجاسر، كما قلنا، اول من عرف بالمؤلف وكتابه، واول من اشار الى وجوده ونبه اليه، وقال في صفته (الف مؤلفاً شاملاً لتاريخ المملكة منذ قيام محمد بن عبدالوهاب ونشوء الدولة السعودية الاولى الى منتصف قرننا الحالي.. وبالاجمال فان كتابه من اوفى الكتب في موضوعها، الا انه بحاجة الى التنقيح والترتيب[١٦].

ونظن ظناً ان الاستاذ العلامة اطلع على الجزءين الاول والثاني من الكتاب (طوق الحمامة، والعقود الدرية) ولم يطلع على الجزء الثالث وهو (العقد الممتاز) فقد ذكر ان مسودة الكتاب في (٣٣٢ صفحة)[١٧] وان النسخة الام موجودة في مكتبة كلية الآداب، وقد وجدنا ان عدد صفحات هذه النسخة الموجودة في تلك المكتبة هو (٥٢٩) صفحة، وهو مجموع صفحات الاجزاء الثلاثة (طوق الحمامة ١٨٤ صفحة، والعقود الدرية ١١١ صفحة والعقد الممتاز ٢٣٤ صفحة) وقد رأينا الاستاذ الشيخ يشير الى حوادث ونصوص من الجزءين الاولين فقط، ولم يشر الى شيء من الجزء الثالث، فغلب على ظننا انه لم يطلع عليه.

وقال استاذنا الجاسر: (يظهر انه اراد ان يقسمه الى ثلاثة اقسام

---

(١٦) مؤرخو نجد ٨٩٦ ـ ٨٩٧.

(١٧) المصدر السابق.

(١٨) العرب ١٠ / ٨٩٧ (مؤرخو نجد).

يطلق على كل منها اسماً خاصاً)[١٨].

وقد قام المؤلف بذلك فعلاً، وجعله في ثلاثة اجزاء (ثلاثة دفاتر من القطع الكبير) وجعل لكل منها اسماً خاصاً، وهي على التوالي: طوق الحمامة في اخبار اليمامة، والعقود الدرية في تاريخ البلاد النجدية، والعقد الممتاز في اخبار تهامة والحجاز، وقد اشرنا الى صفحات كل جزء منها. وارقامها المكتبية (٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١) ولم يعرف مؤلفو فهرست المخطوطات اسم المؤلف، واشاروا اليه باسم المؤلف (النجدي) ووهموا في عدد صفحات العقد الممتاز[١٩].

العنوان:

وليس للكتاب بمجموعه عنوان ينتظمه، وتدل الصفحة الاولى من الجزء الاول على حيرة المؤلف في اختيار العنوان وتردده بين جملة عنوانات يراها، اذ كتب هذه الملاحظة:

(اما الكتاب فلم احاول ان اقرر اسمه بعد، وإنما لدي الآن اسمان لا اعرف هل اختار احدهما او أتوفق الى اسم اكثر ملائمة:

أحد هذه الاسماء يطلق على الكتاب جميعه

١ ـ العقود الدرية في تاريخ البلاد النجدية
٢ ـ مطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود
٣ ـ تاريخ نجد الحديث

وواضح انها ثلاثة اسماء وليست اسمين كما ذكر اولاً، وقد جعل

---

(١٩) فهرس عناوين المخطوطات العربية في مكتبة الدراسات العليا ٢ / ٢٨٤، ٢٩٣، ٢٩٤ وذكروا ان عدد صفحات العقد الممتاز ١٠٥ صفحات، وهو ٢٣٤ صفحة.

(٢٠) وهم المرحوم العلامة الزركلي، وظن ان هذا العنوان للكتاب كله، الاعلام ٧ / ٢٨٢.

الاسم الاول منها عنواناً للجزء الثاني من الكتاب[٢٠] ، ولم يترجح اي من الاسمين الباقيين عنواناً للكتاب كله.

وقد اعقب هذه الملاحظة، بملاحظة اخرى تحتها حول تسمية اجزاء الكتاب، فقال:

(الرأي الثاني في تسمية اجزاء الكتاب:

الجزء الاول: طوق الحمامة في اخبار اليمامة ـ لانه مختص بحوادث اليمامة القديمة.

الجزء الثاني: العقود الدرية في تاريخ البلاد النجدية ـ لانه جامع اخبار نجد كلها.

الجزء الثالث: العقد الممتاز في اخبار تهامة والحجاز ـ لانه مختص بهما.

وواضح ان رأيه استقر على هذه التسميات وجاءت الاجزاء موسومة بها على الترتيب الذي ذكره.

ولعل رأيه لم يستقر في مسألة ترتيب اجزاء الكتاب، فقد ذكر على الدفتر الاول هذه الملاحظة (يتضمن هذا الدفتر حوادث عسير واليمن والحجاز جمعه مقبل العبد العزيز الذكير وهو احد مسودات (الجزء الثالث) من تاريخ نجد، ولم نرتبه بعد).

فهو بالوقت الذي يعتبره جزءاً ثالثاً، يضع عليه عنوان (طوق الحمامة) الذي قرره للجزء الاول من الكتاب.

المسـودة

والدلائل كثيرة على ان هذه الدفاتر هي مسودة الكتاب، وان المؤلف كان يريد العودة اليها منقحاً ومصححاً ومكملاً لوجوه النقص فيه، فلم يتحقق له ذلك لسبب لا نعرفه، والنصوص التالية تدل علي ذلك وتؤيده:

(١) قال في مقدمة للجزء الاول (طوق الحمامة)

(وهو احد مسودات الجزء الثالث من تاريخ نجد، ولم نرتبه بعد، على انه لازال ينقصنا بعض المعلومات التي سنجتهد بالبحث عنها والحاقها به، كما اننا سنعيد النظر في ترتيبه وتنقيحه حتى يكون بالحالة التي نرضاها).

(٢) وكتب ملاحظة على القسم الاعلى من ص ٧٤
(العقود الدرية ـ حوادث القصيم)

(ملاحظة: يجب تنفيح بعض ما في هذه الصفحة).

(٣) وكتب ملاحظة على ص ٨٥ من العقود الدرية
(ترجمة حياة الامام فيصل)

(لم نستكمل حياة الامام فيصل لاننا لازلنا في حاجة الى معلومات وافية عنه).

(٤) وكتب على ص ٧٥ من العقود الدرية عند حديثه عن وفاة عبدالله الرشيد

(عند تبييض هذه المسودة يجب وضع ترجمة وافية لعبدالله بن الرشيد، ويجب اسقاط مابين القوسين).

(٥) وقال في ص ١٥٥ من العقد الممتاز، عند حديثه عن رميزان

(وبودنا لو توسعنا في اخبار رميزان اكثر من ذلك، لو لا انه لم يبق متسع بهذا الدفتر، ولعلنا نستدرك ذلك عند تبييض هذه، مع الحاق بقية حوادث الروضة).

نقص الكتاب:

وقد اشرنا عند تعريفنا باجزاء الكتاب، آخر هذا البحث، الى انها جميعاً جاءت ناقصة مبتورة النهايات، وانه لم يكتب ما تحت العنوانات التي جاءت آخر كل جزء، فآخر طوق الحمامة ص ١٨٤ وضع هذا العنوان (جواب الملك عبدالعزيز على برقيات امام اليمن) وما تحته فراغ الى آخر الدفتر. وختم الجزء الثاني (العقود الدرية) ص ١١١ بهذا العنوان (عبدالعزيز بن متعب الرشيد) وما بعده بياض الى آخره.

اما الجزء الثالث (العقد الممتاز) فكانت خاتمته ص ٢٣٤ (ترجمة حياته ـ اي الامام فيصل) ثم بياض وصفحات فارغة الى آخر الدفتر.

طلب الرأي:

ومع الاوراق المرفقة بالجزء الثاني (العقود الدرية) ورقة صغيرة، تدل على ان المؤلف ارسل مسودة كتابه هذه الى رجل لم يسمه يسأله رأيه فيها وملاحظاته عليها. وقد كتب الرجل جوابه على الورقة نفسها. بأسلوب ركيك، مبدياً اعجابه ومعتذراً بانه ليس من اهل هذا الميدان، ويدل توقيعه الذي ذيل به الورقة على ان اسمه عبدالعزيز ايضاً، ولا نعلم من هو يقيناً، واليك نص ما في تلك

الورقة.

(ادام الله وجودك، هذه هي المسودة الاولى، ومعلوم جنابك انها لم تكن رصينة متناسقة، وفيها ما يحتاج الى اسقاط ومنها ما يجب اصلاحه او الزيادة عليه، والذي نرجو ان تبدوا بعض ملاحظاتكم على الهوامش، والا لو (كذا) بالتأشير على ما يراد اصلاحه).

الجواب:

(الاخ مقبل، سلمت، قد لاحضت (كذا) الكتاب واعجبت به ايما اعجاب، فجزاك الله خير (كذا) اما اني ابدي ملاحضاتي (كذا)، فاني لست من اهل ذلك الميدان، وفيك البركة والسلام - التوقيع عبدالعزيز).

قلة المصادر:

وقد سبقت الاشارة الى حرص المؤلف على ذكر مصادره وهي في معظمها مصادر حديثة متأخرة تعنى بتاريخ المملكة في فترته القريبة (بداية دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وبدايات تأسيس المملكة) وهي الفترة التي كانت موضوع كتابه هذا ايضاً، ولعله طمح الى كتابه تاريخ الجزيرة وبلاد نجد خاصة في العصور المتقدمة الاولى الا ان قلة المصادر وشحة المعلومات عن هذه الفترة حالت دون تحقيق طموحه هذا، ودفعته الى الشكوى والاعتراف بالعجز، فقال عند حديثه عن تاريخ ثرمداء (العقد الممتاز ٢١٧):

المصادر القديمة:

(اما تاريخها القديم فهو مجهول لعدم وجود تاريخ لنجد عموماً، وليس في التواريخ العامة ما يمكن الاستفادة منه، لعدم اعتنائهم فيها، ولم يتصد احد من علماء نجد في القرون العشرة الاولى

للتأليف لا في فن التاريخ ولا في فن الادب او الجغرافي، الا ما نرى ذكره في الكتب مثل كتاب (وصف جزيرة العرب) للاصمعي وكتاب (مناهل العرب) لمحمد بن ادريس بن ابي حفصة مما لم يصل الينا الا شذرات مما نقلوا عنهما، او بعض تآليف في الفقه.

لهذا فالذي يريد ان يبحث في تاريخ جزيرة العرب لا يمكن ان يجد مصدراً يستمد منه المعلومات التي تلزمه، فكأن الجزيرة في هذه القرون العشرة في ظلمة تاريخية حالكة الجلباب، لا يمكن الاهتداء الى طرقها، أو كأنها المجاهل التي عجز العالم عن اكتشافه.

وقد تتبعت المؤلفات التاريخية القديمة والحديثة فلم اجد فيها ما ينير لي الطريق، فاما المتقدمين (كذا) فقد اهملوا ذكرها ولم يعيروها شيئاً من اهتمامهم لان انظارهم طمحت الى تتبع الفتوحات في خارج الجزيرة.

المصادر الحديثة:

اما المتأخرين (كذا) فقد عالجوا هذا الموضوع واشبعوه بحثاً وتحقيقاً من اقدم ازمنة التاريخ ابتداءاً من قيام حكومة آل سعود.. ولا اظن ان احداً يستطيع الاهتداء الى تاريخ هذه القرون العشرة الاولى مهما حاول او بذل من الجهد، فنحن لا يسعنا الا ان نسلك مسلك من تقدمنا من المؤرخين ولا يضيرنا اذا اعترفنا بعجزنا عما عجز عنه من هو اقدر منا واوسع اطلاعاً.

اما في القرن الحادي عشر والنصف الاول من القرن الثاني عشر فقد وجد ترسيمات هي اشبه بالرموز، فكأن الناس احسوا بضرورة التاريخ ولكن لجهلم فن التاريخ لم يحسنوا وصف الحوادث ولا ذكر اسبابها، فلا يفهمه الا مَن هو من معاصريه على ان هذه الترسيمات لم تكن عامة، بل هي لحوادث بلده الخاصة، مع ذلك فقد حصل منها بعض الفائدة الا انها لا تصلح ولا تتسق حوادثها لتكوين تاريخ عام.

صعوبة العمل:

وقال في ص ٢١٨ من الكتاب نفسه:

(وان انتزاع هذه الحوادث من ثنايا سطور التاريخ وجمعها وتنسيقها لمن اشق الاعمال واصعبها ولا يعرف ذلك الا من عاناه).

الملاحظات العامة

ولعل من المفيد ان نختتم حديثنا هذا عن الكتاب - قبل التعريف بمحتويات اجزائه - بملاحظات عامة، سبقنا الى قسم منها الاستاذ العلامة الجاسر، وهي:

منهجه:

١ - لم يسر المؤلف في كتابه هذا على منهج واحد، وإنما اختلف منهجه من جزء الى جزء، فقد قسم الجزء الاول من كتابه اربعة اقسام، تحدث فيها عن عسير السراة وعسير تهامة واليمن والحجاز، وجعل حديثه يدور في مجمله عن العلاقات السياسية بين كل قسم منها وبين حكومة نجد، وما يندرج تحت ذلك من خصومات وحروب ومفاوضات وصلح ومعاهدات.. الخ، وكأن هذا الجزء مخصص للحديث على ما حول نجد، او عن علاقات نجد بجيرانها.

اما الجزء الثاني، فقد افرده للحديث عن نجد خاصة في حوادثها وتاريخها، وعنوان الجزء يدل على ذلك دلالة واضحة (العقود الدرية في تاريخ البلاد النجدية) وقد رتب احداث هذا الجزء على السنوات، وبناه على غير المنهج الذي بنى عليه الجزء الاول.

اما الجزء الثالث، فقد اختار له منهجاً مخالفاً لما سار عليه في الجزءين السابقين وبناه بناءً جغرافياً، ورتبه على البلاد والنواحي، فذكر فيه ١٨ بلداً أو ناحية، وذكر تحت كل بلد اشهر حوادثه التاريخية.

واعتبره معجماً تاريخياً لجزيرة العرب، مستفيداً من جهود بعض من سبقه الى الكتابة عن بعض تلك النواحي من اهلها، وهو ما اسماه بالترسيات (على ان هذه الترسيمات لم تكن عامة بل هو لحواث بلده الخاصة، مع ذلك فقد حصل منها بعض الفائدة، الا انها لا تصلح ولا تتسق لتكوين تاريخ عام، لهذا لم نرَ اصلح من وضعها في هذا المعجم والحقنا حوادث كل بلدٍ في موضعه، فتكون من ذلك تاريخ كامل، لكل بلدٍ حسب ما وصل اليه علمنا)[٢١].

وقال يصف عمله في هذا الجزء من الكتاب (على ان المواضيع تضيق وتتسع احياناً تبعاً للمصادر التي نأخذ عنها، وحسب معلوماتنا الخاصة، على اني لا آلو جهداً في التدقيق والتحقيق والبحث عن تاريخ اي بلد، ورغبتي بان يكون تاريخ كل بلدٍ متصلة حوادثه، واضحة اسبابه، لتكون الفائدة اتم والنفع اعم)[٢٢].

وقال ايضاً: (وللقيام بهذين الواجبين، بذلت جهدي في جمع شتى الحوادث القديمة وجمعتها او بالحري جمعت الجزء اليسير منها وجزءته بأن خصصت لكل بلد حوادثها الخاصة، رأيت ذلك اقرب للفائدة، اما البلد الذي لم اتحصل على معلومات حوادثها القديمة، فقد اكتفيت بذكر حوادثها الحديثة والرياض من النوع الاخير) (العقد الممتاز ٢٢٢).

---

(٢١) العقد الممتاز ٢١٧.

(٢٢) العقد الممتاز ٢١٨.

واذا كانت المصادر قد امدته بكثير من المعلومات عن الحوادث السياسية البارزة من المنازعات والحروب والمعاهدات والدعوة الاصلاحية واعمال آل سعود والحملة المصرية وما شاكل ذلك، مما شكل مادة الجزءين الاولين من الكتاب، فانها بخلت عليه بالمعلومات التي يحتاج اليها في بناء الجزء الثالث من الكتاب، ولهذا كان عمله فيه اشق واصعب من عمله بالجزءين الاولين، ولم يجد ما يملأ به الصفحات التي خصصها للحديث عن كل ناحية، فكتب في بعضها ما حصل عليه من معلومات وترك بعضها الآخر فارغاً، بل انه، في مواضع ليست قليلة، اكتفى بذكر اسم الناحية عنواناً وترك ما بعده فراغاً لانه لم يجد ما يكتبه[٢٣]، ولعله كان يطمح لكتابة تلك الصفحات البيض - التي تركها تحسباً - اذا تيسرت له المعلومات التي يريدها عن هذه الناحية او تلك.

ومن طريف ما فعله في هذا ترجمته لاحد الشعراء (حميدان الشاعر) عند حديثه عن بلدته، وقد اكتفى بهذا، لانه لم يجد في تاريخ تلك البلدة ما يستحق الاشارة والتسجيل غيره، فقال عند حديثه عن ناحية القصب (فقد حالت ترجمة حميدان الشاعر دون ذكر شيء عن حالة البلاد، والسبب اننا لم نجد لها ذكراً وحوادث، بالتاريخ القديم ولا الحديث توجب الاهتمام، لانها قرية صغيرة ولا شأن لاهلها مع احد، ولو لا وجود حميدان ونسبته اليها لما وجدنا شيئاً للتاريخ، لهذا رأينا ان نزينها بذكر ترجمة حالة وشيء من اشعاره، لان لها الحق في الافتخار به، ولم نرَ ان نحرم بلده ومسقط رأسه من هذا الحق)[٢٤].

التكرار:

---

(٢٣) انظر امثلة هذا في تعريفنا بالجزء الثالث من الكتاب آخر هذا البحث.

(٢٤) العقد الممتاز ١٨٠.

٢ ـ وقد اضطره اختلاف المنهج هذا الى تكرار الحديث عن بعض الموضوعات التي ذكرها في الجزء الثاني على سنوات حدوثها ثم اعاد الحديث عنها في الجزء الثالث عند ذكره للبلد أو الناحية التي وقعت بها تلك الاحداث، ولهذا تداخلت بعض الموضوعات في الجزءين الاخيرين من الكتاب وتكرر الحديث عنها ومن امثلة ذلك الحديث عن الدرعية والرياض وآل سعود والحملة المصرية ودفاعه عن اهل القصيم.

الترتيب والتنظيم:

٣ ـ والكتاب في مجمله يعتمد على نوع من الترتيب والتنظيم الداخلي، وفيه حرص واضح على الفصل بين الموضوعات من خلال العنوانات الرئيسة والفرعية التي لم يغفل المؤلف عنها، وقد حاول في القسم الاول من الجزء الاول من كتابه اتباع الطريقة الحديثة في البحث، لاسيما في استخدامه للمصادر وطريقة النقل عنها، فوضع ارقاماً على النصوص المنقولة في المتن، وجعل ما يقابلها في الحواشي، مع الاشارة الى اسماء المصادر واجزائها وصفحاتها. الا انه لم يستمر على هذه الطريقة اذ سرعان ما تركها واعرض عنها، ولكنه لم يغفل الاشارة الى مصادره في المتن في ثنايا الحديث.

الخروج الى موضوعات اخرى:

٤ ـ ومع ان كتابه هذا كان خالصاً لتاريخ المملكة في حدودها المعروفة الا انه خرج عن ذلك في حديثه المفصل عن قتل الشيخ مبارك الصباح لاخويه، ولم يذكر من تاريخ الكويت غيرها، ولعل الذي دفعه الى ذلك معاصرته للحدث لوجوده في الكويت اثناء وقوعه، ومشاركة خاله في الجهود المبذولة للاصلاح بين الفرقاء المتخاصمين، واحتفاظه بالرسائل الكثيرة المتبادلة حول الموضوع (ولدينا كثير من رسائلهم في هذا الموضوع تركنا شرحها، خوف التطويل بما لا فائدة منها) (العقود الدرية ١٠٩) ولعله احب ان يسجل حقيقة الحادث

ويعلن شهادته فيه قبل ان تذهب الايام بها وتطمس معالمه وآثاره.

اما حديثة عن اليمن، فقد كان في حدود علاقته السياسية بالمملكة، ومع انه عاش اغلب حياته في البحرين الا انه لم يكتب شيئاً في تاريخها ولم يشر الى حادثة من حوادثها.

اسلوبه:

٥ - واسلوبه سهل واضح مرسل، بعيد عن التكلف والحشو والتعقيد والتقعر والصنعة والزخارف اللفظية، وهو لا يخلو احياناً من اخطاء في النحو والاملاء واللغة.

عنايته بالشعر:

٦ - وللشعر نصيب في كتابه هذا، وعنايته فيه واضحة، فقد ذكر امثلة من الشعر الفصيح والشعر النبطي، للقاضي الحفظي وللشيخ احمد بن مشرف ولرميزان ولحميدان ولخير الدين الزركلي، وربما افاض في ترجمة احد الشعراء واكثر من ذكر شعره، ثم اعتبر ذلك عوضاً عن الحديث عن بلدة ذلك الشاعر، اذا لم يجد في حوادثها ما يستحق الاشارة والتسجيل، وقد مر بنا نص حديثه عن حميدان الشاعر بدلاً من حديثه عن بلده (ناحية القصب) وتبريره لذلك.

الاستدلال بالشعر:

بل انه ربما لجأ الى الشعر في الاستدلال واتخذه حجة على صحة ما يقول، وقد صحح ما وهم فيه ابن بشر من سنة مقتل الشاعر رميزان بدلالة شعر الشاعر نفسه، ففي (ص ١٥٤ من العقد الممتاز) ذكر رواية ابن بشر حول مقتل رميزان بن غشام الشاعر المشهور من قبل اولاد عمه سنة ١٠٧٩، وعلق عليها قائلاً: